Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبيعة ، وهو الذى يعنى به ويرسل أوهامه خلفه ، فقد تشيع الكوفيون واحتضنوا الشريعة الإسلامية والسنة النبوية وأخرجوا منها مفهومات خاصة بهم ولهم ، وكانت المحافظة على التراث جزءا من مكوناتهم النفسية فاهتموا بالدراسات الفقهية ولكن بعضهم أسرف على نفسه ، وتشربوا تعاليم الفرس ومذاهبهم الدينية والفلسفية الروحية فأغلقوا منافذ البساطة واليسر فى الحنيفية السمحاء .

ولذا هب الفقهاء يتمسكون بالسنة ولا يريدون عنها حولا — يَرُدُّون على الشيعة ، وكان الحفَاظ على السنة من شوائب الشيعة والخوارج والمرجئة من أكْبَرِ هَمِّ الفقهاء . ولكنهم فى أثناء جدالهم مع هذه الطوائف وغيرها ، وقعوا فى حدود دائرة ضيقة لاتقبل نَسَمَات فكر جديد ، وتقيدوا بالنص لايحيدون عنه ، ولم يقبلوا التقعيد أو التنظيم لقضايا اللغة والأدب والفقه ، بل كان لكل ظاهرة قاعدة ولاستثناءاتها قاعدة أيضا ، وليس هناك شاذ فى لغة أو أدب أو فقه بينما قعد البصريون اللغة فى ألفاظها . وماخرج عنها فهو شاذ والشاذ لايعمل به ،.وقننوا الأدب والشعر وعيوبه وماخرج عن حده فهو شاذ وكذا فهموا الحديث والتفسير حتى بلغ بهم الأمر أحيانا إلى الشطط(١) .

ومن الطبيعى أن يهيج الجدل بين المعتزلة والفقهاء وبمعنى آخر بين البصرة والكوفة عامة — وينتهى الأمر بالجاحظ البصرى أن يواجه بعض المُحَدِّثين بأنهم لايفهمون تأويل الأحاديث ، ولا يعرفون أى ضرب منه يكون مردودا ، وأى ضرب منه يكون مُتَأوَّلا — ويقول : فلولا مكان المتكلمين لهلك العوام(٢) وهكذا نادى البصريون بالقياس فى المحل الأول — مهدرين كرامة المأثور والمسموع من الفقه والأدب ، معرفين النحو بأنه « علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب ، وأن إنكار القياس فى النحو لايتحقق ، لأن النحو كُلَّهُ قياس ومن أنكر القياس فقد أنكر النحو »(٣) .

وهم يتعشقون الفروض واستنباط الاحكام واستخراج العلل ، بل ذهبوا يستغلون مااستغله الفقهاء فى قياسهم من اثارة الاسئلة واقامة الفروض —

(١) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ٢٣ — ٢٨

(٢) الجاحظ : الحيوان ٤/٢٨٩ .

(٣) السيوطى : الاقتراح — ط حيدر أباد ١٣١٠ ه ٤٥ — ٤٦